ومن الاجيال التالية ، لا في قفزة نوعية مفاجئة ، ولا في تطور متصاعد واضح . واذا ما استثنينا ذلك الاختلاف الطبيعي الذي يخلفه تراكم السنوات بين المجموعات الشعرية ، وهو اختلاف هامشي تفرضه الظروف النفسية والموضوعية ولا يعتبر اختلافا جوهريا في صميم العمل الابداعي ، اذا ما استثنينا ذلك راينا ان مجموعات الشاعرة غدوى لا تشكل الا مجموعة واحدة متفقة ، افقيا ، في رؤيا رومانسية واحدة .

« كئيبة ، آملة ، تتطلع الى الافق » . هذه هي حدود رومانسيتها ، محفوفة بقوسي « الحلم » و« الغائب » المنتظر .

في اول قصيدة من مجموعتها الاولى « وحدي مع الايام » ، اشارة واضحة لهذا الموقف الذي بقي على حاله دون تغيير بعد هذه السنوات الطويلة ، تقول في « مع المروج »(٤):

هذي فتاتك يا مروج ، فهل عرفت صدى خطاها
عادت اليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها

هي ، مع الوحدة ، ومع التطلع الدائم لغائب ما ، لشيء ما ، قد يكون وهما محضا . لانها ترفض ان تتلمس مصادر هذا التطلع وهذه الرؤى ، من الواقع المحسوس . ولانها ايضا تستطيب هذا الاستحواذ المطلق على جميع حواسها ، من قبل طاقة مختلقة تسميها « رؤى الخيال » وتسميها احيانا « اجنحة خفية » تضمها في نعسة الالهام حيث :

تسمو بروحي فوق دنيا الناس ، فوق الآدمية .

والشاعرة ، تحت هذه الضغوط الوهمية القاسية ، تغفل هوية تلك الرؤى وتلك الاجنحة الخفية التي تسمو بها فوق دنيا الناس ، فتسقط عليها هوية « الاشياء » الدنيوية ، فهي مثلا تصف أحلامها بانها « بيضاء » كأحلام القمر « الفضية » . وهي تنسى أصلا، وتغفل، طبيعة « المروج » التي تتحدث اليها .

في قصيدة ثانية « خريف وشتاء » تحدق في الفضاء الذي أربد وغشاه السحاب فتجده يشبه ذلك الذي يجثم على نفسها .

ولعل « الموت » ، هو من ابرز معادلات « الوحدة » ومرادفاتها . والشاعرة تواجهه بنفس طاقة الوهم الفضفاضة . فهو غامض ولكن غموضه ليس غموضا شعريا حيا ذا سمة جدلية ككل الاشياء الملهمة ، بل غموضا ميكانيكيا رتيبا تواجهه الشاعرة بتقليدية لا حركة فيها :

آه يا موت ! ترى ما انت ؟ قاس أم حنون ؟!
ابشوش انت أم جهم ؟ وفي أم خؤون ؟!
يا ترى من أي آفاق ستنقض عليه ؟.
يا ترى ما كنه كأس سوف تزجيها اليه ؟
قل ، أبن ، ما لونها ؟ مـا طعمها ؟ كيف تكون ؟

فهذه التساؤلات التي أعطيت مغزى ميتافيزيقيا ، قد تنتمي لمرحلة شعرية قديمة ، وغير عصرية. بالرغم من أن غدوى طوقان في قصيدة اخرى تتوسل الى الله ان يصون الوجود « من عبث الموت وطيش الفناء » (ص ٣١) ، فتقترب منه لتسميه . وتتجاوزه في قصيدة أخرى ، وهي تتوسل الى الله :

يا رب ، اما حان حين الردى وانعتقت روحي من هيكلي

فالموت هنا انعتاق من الجسد الذي تراه الشاعرة هيكلا ، على طريقة المتصوفة . ولكن

---

٤ — وحدي مع الايـام ، ص ١١ . ٥ — المصدر السابق ، ص ١٩ .